ديزي الامير

الحاجب

وصل الليل ، احست بعتمته قبل ان تراه ،قبل ان يطرق نوافذها وبابها . فقد طرقت اصوات التلفون رأسها ، تطلب منها الصديقات الاهتمام بنفسها ، فالليل على وشك ان يأتي. لتحكم غلق النوافذ ، غلق الباب بالمزلاج الداخلي ، لتتذكر انها وحدها ، وهي امرأة وحيدة واللصوص يطمحون دائما الى السطو على بيوت كبيتها .

هكذا وفي كل نهاية نهار ، وقبل ان يصلها الليل ، تذكرها الصديقات بقرب وصوله ، بوحدتها ، بالاخطار التي قد تتعرض لها.

لم تكن عتمة الليل تخيفها ، ولا وهج الشمس يبهجها . مرت عتمات كثيرة وجاءت توهجات كثيرة وهي .. هي تذهب صباحا الى عملها وتعود مساء . الساعة .. لا تسأل عقاربها عن سبب سيرها ومرورها عن الارقام .

الليلة كانت العتمة اشد . اصابعطب اسلاك الكهرباء في بيتها، وهذا امر قد اعتادته ، ولكن كل حيلها لحل مشكلة انقطاع النور ثم تفلح الليلة . فانتظرت . الصباح سيأتي ، الشمس لا شك طالعة وليس من امر جديد ملح يتطلب النور .

تعرف ممرات بيتها المنيرة والمعتمة ، المطبخ والحمام ، غرفتها ، سريرها ، مشجب ثيابها ، خزانتها تصل يدها اليها كلها دون الاستعانة بدليل ولو كان ضوئيا .

الليلة طال الليل ، عهدها به يستفيق ابكر ولم تستطع ان تسبقه فانتظرته وطال انتظارها قبل ان يمضي ، وانضمت ليلة اخرى الى الليالي ، واشرقت شمس اخرى اعادت لها وجهها المستعار ، حملته معها الى العمل وتركت السيارة على الطريق ، فالدلاوب الذي ينعطب دون ان ينذرها برغبته لم يعودها طريقة اصلاحه مع كثرة ما باح بوقاحة عن طلبه التوقف .

نظرة المدير اليها قالت انها تاخرت ، وحين رأى الحاجب الاسى في عينيها سألها عن مكان وقوف سيارتها واخذ مفاتيحها . كادت تقبله ولكن شفتيها كانت اكثر وعيا فانسحبت متمتمة عبارات شكر.

الملفات تأتي اليها وتروح والاوراق البيضاء تسود وتمزق او تمتد وترتب . ينقضي نهار جديد ويأتي الغروب فتسألها زميلة ان تمضي فترة الوحشة عندها . وحين تأتي فترة العتمة ، ويحل الظلام ، لو رغب دولاب سيارة في اعلان رفضه السير ماذا تقول للجيران ؟

كيف تفسر للحارس حق الالة في الحرد ؟

تقدم لها زميلة سيجارة ، تمد يدها ثم تتراجع ، تلاحظ محبس الزواج في اصبعها فتعتذر ، تقول ان لديها عددا من الولاعات في حاجة لاصلاح ، فتجيب الزميلة ان اصلاح الولاعات عمل خاص بالرجال. هاتيها معك غدا يصلحها زوجي المعتاد على الامر .

يأتي الغد فتقول للحاجب : (هذه ولاعة لا احتاجها صلحها واستعملها). هل تراها دفعت له بعض ما يستحق ؟

سحبت المخدة من تحت راسها ولكن الماضي لم ينسحب . رأت البيت مملوءا صغارا وكبارا ومتوسطي العمر .

لم كان الموت غير راحم لها في اختطافهم ؟

كانت تشكو دائما من الضجيج وتتمنى لو تنام في غرفة مستقلة ، تفتح الضوء ساعة تشاء او تطفئه وتستطيع الاستمتاع بالسكون .

اليوم تتمنى لو كانت لا تستطيع القيام بكل هذه الامور مستقلة.

اضاءت المصباح ، امسكت جريدة ، قلبتها . خفف صوت الورق من السكون . اطفأت الضوء ، اشعلته ، اشعلت سيجارة . ملأت الغرفة دخانا فلم يأت ابوها يستوضح من يجرؤ على التدخين .

فتحت المذياع والتلفزيون معا ، اسكتتهما معا . لم تحس بالاستقلال . انتظرت ، لم يحدث شيء . أيمكن ان تمر كل هذه الليالي ويأتي كل صباح ولا يأتي شيء ؟

الليلة التالية جاء الشيء . احست غثيانا ولم تدر انها كانت تتنقل في العتمة بين غرفتها والحمام ، ولكنها ادركت ان الدوار يعيقها عن الذهاب الى العمل ، اخبرت المدير عن سبب تغيبها واتعبها الوصول الى التلفون تجيب عن استفسار الزميلات وتمنياتهن لها بالشفاء .

طبيبها قالت زوجته انه في خفاره في المستشفى وتطوعت ان تنام عندها اذا احتاجتها ثم استدركت ، اذا وجدت من ينام عند الاطفال.

قبل ذهابها للعمل مرت على الطبيب . ورحبت بعودتها الزميلات والصديقات وسألها الحاجب هل يصدق لها على التقرير الطبي كما يفعل للاخرين ؟

الليلة قررت الا تستكين للوجع ولكن لم يأت ، سهرت تنتظره، تاملت وجهها في المرآة . كانت الخطوط تزداد وضوحا . امامها عدد من قناني ادوات التجميل ، فتحتها كلها ، مزقت اوراقها وعلبها ودهنت الوجه والعنق . ومن فتحات الشباك الخشبي الصغيرة تاملت الجارات يغادرن بيوتهن بصحبة رجالهن ولم تدر لم انتظرت عودتهم.

وارتفعت الاصوات تتحدث وتضحك على الدرج في اواخر الليل فازالت المساحيق عن وجهها واستلقت تنتظر طلوع الصباح .

كل مساء تنتظر طلوع الصباح ولكن الليل يأتي حاملا لها تحذيرات الخوف من لص ليلي ينتهز وحدتها .

وجاء صباح قديم جديد ، وجاء عمل جديد قديم

كانت الزميلات يتساءلن عما سيرتدين مساء، وتطلعت واحدة الى البطاقة وقالت ان موعد السهرة مبكر ، فزوجها لا يصل البيت قبل الثامنة ، وستخبر المدير انها ستتأخر .

قفزت بعينيها الى طاولتها فلم تر عليها بطاقات ... وتمنت لو تعرف فقط ما يدور الحديث عنه . ولم يطل انتظارها طويلا فقد احست حركة واهتماما في انحاء المكتب وصلت زوجة المدير تختار من الموظفات من يساعدها في حفلة الليلة الساهرة . وقبل ان تغادر المكان قالت لها (لم نرد احراجك بالدعوة فنحن ندري انك لا تستطيعين السهر خارج البيت ارجو ان يتاح لنا دعوتك في المستقبل) .

وقفز سؤال عن شفتيها لم يخرج(اما كان بوسعكم دعوتي وترك الامر لي ؟) ولكن شفتيها تمتمت عبارات فهمت منها زوجة المدير انها تشكرها على مراعاة ظروفها .

علي الياسري

الانتظار

كأن الذي مرّ كان ابتداء الزمان . وكان الذي مرّ ـ بين ابتداء الزمان وبين انحناء المسافة ـ وجهي .
كأن السواقي قد هاجرت ، والغصون التي تزدهي قطعت جلدها : البستني دثار الخريف الذي حطّ في رئتي .
المسافات أقبيةٌ للعذاب وللخوف ، والملح بين الاصابع ينمو .
وجوه الثعابين ضاحكة في المرايا الجميلات خلف الستائر ، في الحافلات .
وتضطرب العين في اللون رمداء . شوهاء كل الملامح اذ لا تكونين بين الذين يمرون عند الصباح ـ الغروب .
ويمتزج الحلم بالضباب ، وهذي الاصابع ملغومة والدماء امتطاها التوهج في رقة الملح في الشفتين .
وعيناي مطفأتان ، وهذي المدامع تلتفّ مزروعة في فم النفي والليل والحدود الاسيرة . اغرق عند ضجيج الصباح المضبب ، يبكي النشيد ، ويلتفّ مثل السكاكين يذبح ماء الوريد ، ويرخي له الليل استاره :
تغني السكاكين موت القصيدة .
وقبل مجيء ـ المواسم ـ كنت المواسم ، ترنو اليّ ، تمدّ اليدين ، وتدعو فيجرفني السيل كالقيد يزرع الوجه ، كالرمح تحت اللهاة . الغيوم الصغيرة عالية تهرب عند انفراج شفاه الرمال ـ النباتات . بيني وبينك جرف الصحارى . ويمتدّ لمّا أحوّم في الشرفات ـ الفراشات ـ ضوء المصابيح . مهجورة عتبات المنازل الثمها ،
ويعبرني الحلم والصحو والباب . كل الشوارع في الوجه مرسومة ،
ومثل الربى الحزن يخضرّ ، والنخل يسمرُ في الضوء ، ينمو لك الجرح ساقية من نعاس ، ويلثمه الشوك ، يزرع ازهاره العجاف ، ويمتدّ بي الليل ، والريح تسرع كالعربات ـ الجياد التي هجر الفارسون صهوتها .
يظمأ الدمع ، تشكو المياه اليباس ، ويهجرني الجسم :
ليس هذي يدي ،
وضيّعت وجهي
أنكرته المرايا ، فهاجرت في وريد المواسم ما بين شوق المدى ، وعجز الخطى هجرة كنت فيها المقيم ـ المسافرَ فوق رصيف الحجر المنحني .
كان تحت الجراح الحصى ،
كان فوق الجراح الحصى ،
كنت بين الحصى والحصى
مآذن مهجورة كالنواقيس يصدأ فيها الصدى .
وفي حافة الشمس كنا التقينا ، تمدّ لنا الشمس اذرعها مُسَنَّنةً مثل وجه البثور في رئة متعبه .
رأيت النواحَ القديم يسافر في جسد الدمع اذ يفتح الليل عند الزوايا معاطفه ،
يسامر عين الدروب التي تستحمّ على عتبات الظلام ، يسامر كل اللغات التي اختنقت فوق رفرفة الشفة الميته ،
فينشق في الصوت بيت : تقيم الحبيبة فيه
وتنمو البيارق . والملح ترفضه خضرة الضفتين ،
فيأتلق الضوء بين الاصابع نرجسة ... وفي الكف وجهك حقلا ..
وحقل البيادر بيتي وبيتك مذ جاءنا العشق يحمل راياته فوق وجهي ظلالا ، بها اللون لوني ولونك والارض والامسيات الكثيرة !

بغداد

حاولت اعادة التمتمات اوضح ولكنه كان هذه المرة همسا لم تسمعه هي نفسها .
جاءها الحاجب يقول انه مستعد لايصالها للبيت بعد انتهاء الحفلة ، فهو سيبقى هناك ليساعدها .
واغرقت نفسها في العمل ، اتمت ما كانت تعده في ايام ، ولكنها لم تراجعه كعادتها ، كانت اصوات وضحكات الساهرين وفساتين الزميلات تمر امامها .
على الاشارة الحمراء وقفت ، وصلت شحاذة تحمل رضيعا بائسا . مدت الشحاذة يدها تتوسل : ـ يحفظ لك زوجك
اجابت بحدة : ليس لي زوج
: ـ يحفظ الله اخاك
: ـ ليس لي اخ
: ـ يحفظ اباك
: ـ ليس لي اب
تاملتها الشحاذة وتوسلت باخر امكانية : ـ يحفظ ابنك .
انقذتها اشارة الضوء الخضراء
في البيت تاملت ما حواليها فلم تر في الجدران غير عريها ، ومن النوافذ غير صمتها ، وعلى الكراسي غير فراغها .
وقفت امام المرآة : تعترف ان وجهها غير جميل . تعترف انه شاخ ، تعترف ان المستقبل صار ماضيا .
رددت الجدران والنوافذ والكراسي صوت صراخها وهي تزعق (اريد القيام بفضيحة)
سمع الحاجب كان مشغولا باصوات السيارات وهو يشرف على تنظيم ايقافها .

بيروت